الأطام قبض النبي محمد فعيوننا تذر الدموع عليه بالتسجام قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فزعا فنظرت إلى السماء فلم أرى إلا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت ناقتي وسرت فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به فعن لي شيهم يعني القنفذ قد قبض على صل يعني الحية فهي تلتوي عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شيء مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر فحثثت ناقتي حتى إذا كنت بالغابة فزجرت الطائر فأخبرني بوفاته ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت مه قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرتجا وقيل هو مسجى قد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل في سقيفة بني ساعدة صاروا إلى الأنصار فجئت إلى السقيفة فوجدت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة ابن الجراح وسالما وجماعة من قريش ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملأ منهم فآويت إلى قريش وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبا بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطام والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه ثم تكلم عمر بعده بدون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجعت معه فشهدت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وشهدت دفنه صلى الله عليه وسلم ثم أنشد أبو ذؤيب يبكي النبي صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس في عسلانهم ما بين ملحود له ومضرح
متبادرين لشرجع بأكفهم نص الرقاب لفقد أبيض أروع
فهناك صرت إلى الهموم ومن يبت جار الهموم يبيت غير مروع
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وتضعضعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها ونخيلها لحلول خطب مفظع
ولقد زجرت الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الأذبح
وزجرت أن نعب المشحج سانحا متفائلا فيه بفأل أقبح

ثم انصرف إلى باديته فأقام بها وقال محمد بن سلام كان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن وسئل حسان بن ثابت من أشعر الناس قال أحيا أم رجلا قال أحيا قال أشعر الناس حيا هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب وقال محمد بن معاذ المعمري في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا وكان اسم الشاعر بالعبرانية مؤلف زور فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية وهو كثير بن إسحاق فعجب منه وقال قد بلغني ذلك وكان أبو ذؤيب يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يرسل إليها خالد بن زهير فخانه فيها وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويمر بن مالك بن عويمر وكان رسوله إليها فلم علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها فأرسلت تترضاه فلم يفعل وقال فيها

تريدين كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
أخالد ما راعيت من ذي قرابة فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي
دعاك إليها مقلتاها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد
وكنت كرقراق السراب إذا جرى لقوم وقد بات المطي بهم يخدي
فآليت لا أنفك أحذو قصيدة تكون وإياها بها مثلا بعدي

وقال أبو زيد بن عمر بن شبة تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية يعني قصيدته المتقدمة قريبا وعن ابن عباس ما لبا الحجيج والنبي المجمر قال لما مات جعفر الأكبر بن المنصور مشى في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه ثم انصرف إلى

حفرة

قبره فأقبل على الربيع فقال يا ربيع انظر من في أهلي ينشدني أمن المنون وريبها تتوجع حتى أتسلى عن مصيبتي قال الربيع فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور فسألتهم عنها فلم يكن فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة قال لقد رغبتهم في الأدب أعظم وأشد على من مصيبتي يا بني ثم قال انظر هل في القواد والقواصي يعرفها فإني أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحدا ينشدها إلا شيخا مؤدبا قد انصرف من مؤدبه فسألته هل تحفظ شيئا من الشعر قال نعم شعر أبي ذؤيب فقلت أنشدني فابتدأ هذه القصيدة العينية فقلت أنت بغيتي فأوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها فلما قال والدهر ليس بمعتب من يجزع قال صدق والله فأنشدني هذا البيت مائة مرة ليتردد هذا المصراع على فأنشده ثم مر فيها فلما انتهى إلى قوله

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

قال سلا أبو ذؤيب عند هذا القول ثم أمر الشيخ بالانصراف فاتبعته فقلت أمر لك أمير المؤمنين بشيء قال نعم وأراني صرة في يده فيها مائة درهم وعن الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي إلى إفريقية سنة ست وعشرين ثمانيا في حجة في زمن عثمان وبعث معه نفرا منهم أبو ذؤيب فقال عبد الله يقول وصاحب صدق كسيد الفضاء نهيض في الغزو نضا لحيا في قصيدة له فلما قدموا مصر مات أبو ذؤيب بها وعن أبي عمرو بن عبد الله بن الحرث الهذلي من أهل المدينة قال خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد حتى قدموا على عمر بن الخطاب فقال أي العمل أفضل يا أمير المؤمنين قال الإيمان بالله ورسوله قال قد فعلت فأيه أفضل بعده قال الجهاد في سبيل الله قال ذلك كان علي ولا أرجو جنة ولا أخاف نارا ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين فلما قفلوا أخذه الموت فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعا فمنعهما صاحب الساقة فقال ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول فقال لهما أرادا أن يتخلف عليه فقال لهما أبو ذؤيب اقترعا فطارت القرعة لأبي عبيد فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس فكان أبو عبيدة يحدث قال قال لي أبو ذؤيب يا أبا عبيد احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ثم جرني إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ حتى أفرغ فاغسلني وكفني بكفني ثم اجعلني في حفرتي وانثل على الجرف برمحك وألق علي الغصون والحجارة ثم اتبع الناس فإن لهم رهجة تراها في الأفق إذا أمسيت كأنها جهامة قال فما أخطأ مما قال شيئا ولولا نعته لم أهتد لأثر الجيش وقال وهو يجود بنفسه

أبا عبيد رفع الكتاب واقترب الموعد والحساب
وعند رحلي جمل نجاب أحمر في حاركه انصباب

ثم مضيت حتى لحقت بالناس فكان يقال إن أهل الإسلام أبعدوا الأثر في بلاد الروم فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين وهذا يخالف رواية الزبير بن بكار السابقة والله أعلم أي ذلك كان

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشكاية أنطق

البيت من الكامل ولا أعرف قائله والشاهد فيه أن في البيت قبله فإنه شبه الحال بإنسان متكلم في الدلالة على المقصود وهذا هو الاستعارة بالكناية فأثبت لها اللسان الذي به قوام الدلالة في الإنسان المتكلم وهذه الاستعارة التخييلية وقريب من معناه قول ابن الخيمي

لهذا أمس المصباح اللائي يقضي البعيد البعيد نور مشرق
وأروم شكوى موجبات الحب لا نستطيع بها الكلام لعلك تشفق
فأرى لساني بالصبابة أخرسا ولسان حالي بالشكاية ينطق
وأنوه باسمك والمسافر بيننا فضوى فيضحي الجو طيبا يعبق

Copyright © King Saud University